(قال) وللنيلي من الكتب اختصار كتاب المسائل لحُنَيْن . تلخيص شرح جالينوس . كتاب الفصول مع نُكَت من شرح الرازي

هذا ولم نجد ذكرًا لسعيد النيلي في غير ابن ابي اصيبعة

٣٢ ابن اصطفانوس الروميّ

هذا ايضاً شاعر عاش في اواسط القرن السادس للهجرة والثاني عشر للمسيح . وغاية ما نعرف لهُ من الاخبار ما نقلناهُ عن كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب لكمال الدين الحلبيّ عن نسخة لندن (Car Mss. Brit. n° MCCXC) قال : «كان ابن اصطفانس فيلسوفاً شاعرًا وُلد بالروم ونشأ بأنطاكية وكان ذا هيئة اديباً شاعرًا نحويًا فيلسوفاً نظّارًا . سافر الى العراق ولقيَ بهِ العلماء ولُقّن من العلوم والآداب ما علا بهِ صيتُهُ واشتهرَ ذكرهُ في الازمان» . ثمّ ورد هناك اخبار أُخرى متحرة قدّمنا بوخذ منها انّ ابن اصطفانوس أرسل سفيرًا الى الخليفة العباسي المستضي بالله الذي كان وزيرهُ عليّ بن عبد الرحمان البازوريّ . . . وانهُ اجتمع برجل اسمهُ يوسف بن (؟) الكفرطابي الذي كان يدرّس في كفرطاب . هذا ما رواهُ كمال الدين ولم نقف في غيرهِ على اخبار ابن اصطفانوس (لهُ بقية)

مذهب التقمُّص (١

بقلم حضرة الاب فردينان توتل اليسوعي

١ خرافات وهواجس

بلغنا انَّ احد امراء الدروز في غاراتهم الحديثة وقف على جسر في وادي التَّيم وصاح برجاله قائلًا : ألا آعلموا يا قوم انّي وقعت قتيلًا ههنا منذ خمسين عاماً ثم أُحييتُ وها انا اقودكم للقتال

١) قد عوّلنا في انشاء مقالتنا هذه على المؤلفات التالية :

ولا عجب أن صدّقته جماعته لانهم يعتقدون ان نفس الانسان اذا خرجت من جسده دخلت جسداً آخر ثم عادت الى حياة جديدة ويدعون ذلك تقمّصاً اشتقاقاً من لفظة القميص لباس الجسد الذي يتغيّر من حين الى آخر وكذلك الجسد فانّهُ لباس النفس يتغير ويبلى . ويشبّهون النفس بالسائلات التي تحتاج الى اناء يضبطها فاذا كُسر يُصَبّ السائل في اناء غيره . ومن مزاعمهم ان نفس الخاطئ اذا فارقت جسده لا يُنفذ الله قضاءه فيها نهائياً طبقاً لاعتقادنا بل يحكم عليها بعذابات وعن متناوبة الشدّة والمدّة تنالها بحياة جديدة مناسبة لما اقترفته من ذنوب ولا بدّ لها من التعويض عنها الى ان يأتي يوم الحشر فيظهر الهدي ويزحف مع الدروز المتجمعين في بلاد الصين فيسحقون اعداءهم من مسلمين ومسيحيين وغيرهم ويستولون على الارض وما فيها (حلّ الرموز ص ٣٣)

ولا يعارضنا معارض ويتهمنا بتزوير معتقد الدروز ونسبتنا اليهم ما هم براء منه ، ومعروف لدى القاصي والداني انهم اشدّ الناس كتماناً لامورهم الدينيّة ، فلا يبوحون بها لاحد من غير دينهم ، بل لا يكشف عقّالهم غوامضها ليقيّة قومهم المعروفين بالجهّال لانهُ على الرغم من افراط تحفظهم قد وقع كثيرٌ من كتبهم الدينيّة في ايدي الناس فنشرها العلماء (راجع لائحة الكتب التي عوّلنا عليها)

١ً هستنكس : دائرة معارف العلوم الدينية والاخلاقية ، في مادة تناسخ

Hastings : Encycl. of Religion and Ethics, *art.* «TRANSMIGRATION». Edinburgh, 1921

٢ً فرنك : قاموس العلوم الفلسفية في مادة تقمص

Franck: Dict. des Sciences Philosophiques. *art.* «MÉTEMPSYCOSE». Paris, 1885

٣ً دي ساسي : ايضاح ديانة الدروز ، مجلدان

S. de Sacy: Exposé de la Religion Druse, 2 vol. Paris 1838

٤ً غيس : الامة الدرزية

H. Guys : La Nation Druse, Paris 1863

٥ً كتاب حلّ الرموز في معتقد الدروز لابراهيم جرجس خليل ترجمان وكالة قنصلاتو فرنسا بالنيوم ملخص عن كتاب لاحد عقلاء الدروز في قواعد مذهبهم الاساسية ودستور تقليدهم الدينية

٦ً المعلم بطرس البستاني : كتاب دائرة المعارف في مادّة تناسخ

ومنها يظهر جلياً معتقدهم في التقمص فضلاً عما تنثّ عنه اقوالهم من حين الى حين: «ولا خفي الّا سيظهر»

جاء في كتاب «غيس» عن تعليمهم (وجه ٢٠٤) «كل توفي انسان ولد انسان» وجاء في كتاب «لبنان» المطبوع سنة ١٩١٨ في مقالة لاحد ادباء الدروز (وجه ٥٥٤) «ان النفوس خالدة تتقمص بالاجساد البشرية الى يوم الحشر». ومن ظريف ما رواه عنهم كتاب حل الرموز (وجه ٣٨) ان مولوداً في نواحي حلب لما بلغ السنة الخامسة من عمره جعل يدّعي انه منذ خمس سنوات كان عائشاً في دمشق وكان عمره خمسين سنة وانه توفي عن امرأة وبنين وتقمّص ثم اخذ يلحّ على ابويه بالسفر الى الفيحاء فقصد اليها معهما. ولما بلغوا المدينة جعل الولد يسمي الاحياء والاسواق باسمائها حتى وصلوا الى بيتٍ فوقف الصبي وطرق بابه ودخل فاذا هناك امرأته واولاده فتعرّف بهم وظلّ في بيتهِ مدّةً يستقبل مشايخ الدروز المتوافدين للسلام عليه!!

وليست الحكاية باعجب من قصة القائد الذي قُتل في وادي التيم التي افتتحنا بها مقالتنا. ومثل هذه الاخبار كثيرٌ تتناقله الالسن فتتجاذبه الناس اطراف حديث كما يتجاذبون باصابعهم خرزات المسابح اذا جلسوا للسامرة وشرب القهوة في الملاهي والمضايف

ومما رواهُ الجاحظ في كتاب الحيوان (٦ : ٢٤٠) عن بعض العوامّ قال:

«ان العوام تقول وناس يزعمون ان الحية مسخ، والضبّ مسخ، والكلب مسخ، والارنب مسخ، والعار مسخ . . . وان الله قد مسخ كل صاحب مكس، وجابي خراج وإتاوة اذا كان ظالماً وانه مسخ ماكسَيْن احدهما ذئباً والاخر ضبعاً وفي ذلك ضروب كلها ظريف غريب وكلها باطل، والاعراب تؤمن بها»

وجاء في كتاب الف ليلة وليلة (الطبعة البيروتية، ١ : ٤١ وما بعده) عن شابين ان ابنة عمه مسخته نصفهُ حجراً ومسخت اهل مدينته سمكاً من اربعة صنوف: فالسمك الابيض المسلمون، والاحمر المجوس، والازرق النصارى، والاصفر اليهود (١) . . .

---

(١) راجع ايضاً ما كتبه الشيخ بي الشرتي في مجلة العرفان الغراء (نيسان ١٩٢٦) في مقالته «التيزيديون او اليازيدية» (وجه ٨٢٩) حيث روى عنهم ان «ارواح الاشرار التي تعود الى التقمص مرةً ثانية تتجسد في هذا العالم في الكلب والخنزير والحمار وتتعذب»

وفي اللغة العربية اصطلاحات للتعبير عن انواع التقمص فانتقال النفوس الى جسد بشري يسمى تقمصاً او نسخاً . وانتقالها الى بدن الحيوان يسمى مسخاً . وانتقالها الى الاجسام النباتية يسمّى رسخاً . وانتقالها الى الجمادية كالمادن والبسائط يسمى فسخاً . والتناسخ في هذه الاحوال الثلثة يسمّى بالافرنجيّة «Métamorphose» ويطلق عليه بالعربية اسم مسخ . امّا التقمص فيدعى في اصطلاح الافرنج «Métempsycose» .

واننا لنضرب صفحاً عن هذه الخرافات ولم نكن لنأتي على ذكرها في هذه المجلة لولا خطورة ما ترمي اليه من امر الوعد والوعيد ومصير النفس في الحياة الاخرى ، حتى صار لها وقع في قلوب العامة واخذت الخاصة تكترث لها وتسعى بتبيان الحجج التي يدعم عليها اصحاب المذهب معتقدهم فخصها صاحب المقتطف بمقالة في شهري : مارس وابريل من السنة الحالية ١٩٢٦

ولما كان الدروز فئة صغيرة من القائلين في التقمص وليس من الاكيد انهم يؤمنون بسياحة الانفس في اجسام البهائم والجوامد اغتنمنا الفرصة للكلام عن التقمص عموماً وذكر ما شاع منهُ في التاريخ عسى ان نقف على اهم بنوده افادةً للقرّاء واحاطةً للموضوع باطرافه فنتناوله جملةً وتفصيلاً قبل ان نبين بطلانه

٢ تاريخ مذهب التقمص

نشوء — ان الانسان مخلوق ومجهّز بكل ما يلزمهُ نفساً وجسداً للبلوغ غايته القصوى فكما انه بطبيعته يحسّ وينمو ويتحرّك كذلك يعقل ويدرك الوجوبيات بطبيعته العاقلة ، فيعرف الله خالقه ، ووجود نفسه وخلودها . وواجب تأدية الحساب عن افعاله لينال الثواب او العقاب من الديان بعد الموت . تلك الحقائق العظمى كانت معرفتها صريحةً اكيدةً لا يشوبها ضلال ولا شك والبشرية قريبةٌ من مهد نشأتها . وكانت في الاوجج صادرة ليس فقط عن نور العقل ولكن ايضاً عن وحي انزله الله تعالى على ابوينا وجعله كالمنارة تضيء لبني آدم في ظلمات سياحتهم على الارض ولم يخفَ امرها حتى على بعض الوثنيين والشاهد في ذلك ما كتبه شيشرون (Tuscul. l. I c. 12) : «ان الحق كان اوضح عند الشعوب القديمة منه عندنا لانهم كانوا اقرب منا الى نشأة الاشياء وظهور الخلائق »

لكن الخطيئة الاصلية غشت على عقل البشرية واخذت نتائجها الذميمة من طبيعتنا الساقطة مأخذها فهاجت الشهوات وعصى الجسدُ النفسَ واظلم نور العقل وضلَّ الانسان عن معرفة الحق

وكما انه شوَّه صورة الخالق السامي الكمال فنسب اليه اميالهُ وشهواتهِ الرديَّة وعبدها بالخليقة مسترسلاً الى الرذائل كذلك زوَّر حقيقة المعتقد في امر المصير وبدَّل الابدية وعقابها وثوابها بسياحة زمنية يختلف ذكرُها ما في ذكر جهنم الابدية من الهول والردع عن المآثم . واهمُّ من ذهب هذا المذهب من الشعوب هم المصريون والهنود واليونان

﴿المصريون﴾ نظروا الى الطبيعة فلاحظوا تطوُّراتها ما بين شمس تغيب وشمس تشرق ، وبين نبات يذبل ونبات ينمو ، وبين حيوان يموت وحيوان يولد ، فاستطردوا الى القول ان الموجودات تعود بعد زوالها ، وانه لا يحيا اليوم الَّا من مات امس ، وان الانسان المولود ، مات ، فحيي ، وان النفس تتقمص في اي جسد كان تلقاهُ من بعد فراقها جسدها القديم . فكان منظر الكائنات داعياً لاعتقاد المصريين بالتقمص

اما ﴿الهنود﴾ فقالوا ان النفس نشأت من ذات اللاهوت وحُبست في الجسد من اجل زلَّات ارتكبتها . وانها لتسيح من جسد الى جسد ومن حبس الى حبس ، الى ان تبلغ من التعويض مبلغاً ومن الكمال درجةً ترتقي بها الى اللاهوت فتعود تتَّحد به وانها في سياحتها تلك تجتاز بعالم النبات والحيوان والانسان . وذهب بعضهم الى وجوب الامتناع عن قتل البهائم تحاشياً من خطر الجناية على البشرية

اما ﴿اليونان﴾ فزعيم مذهب التناسخ عندهم كان فيثاغوروس الفيلسوف فاختلف مع الهنود في شأن سياحة النفس بعد الموت وقال انها لا تتجاوز حدود انحاء الحيوانية ولم يوافق مع المصريين على ان النفس تدخل في اي جسد لاقته بعد الموت لكنه اشترط على ذلك الجسد ان يكون مناسباً لقوى النفس فجعل لهذه النفس هذا الجسد بحيث يتكون من كلاهما انسان واحد وهذه الوحدة هي مبدأ الاقنومية فينا

واخذ افلاطون اصل تعليمهِ عن فيثاغوروس ألَّف عليهِ وافرغهُ في قالب فلسفي وقال : ليس العلم فينا الَّا تذكراً . وان سألتهُ كيف ذلك ؟ اجاب : لولا ان فينا القوة او الاستعداد الى العلم قبل ان نتعلَّم لما كنا تعلمنا وان هذه القوة موجودة في

كل المتعلمين وهي تُخلقُ معهم. فاذًا هي اثر لمعلومات كانت فينا، في حياة قبل هذه الحياة. فاذًا كنا في حياة سالفة. وما حدث فينا في الزمان الماضي سوف يحدث في المستقبل فننتقل من حياة الى حياة وسوف تنقضي مدة الف سنة بين الواحدة والتالية

واقتبس فرجيل الشاعر الروماني من هذه الاقوال شعره في نشيده السادس من الانياذة (٧٤٨،٦) اذ قال: «دهور تتوالى، الف سنة تنقضي؛ فيدعو الاله جمهورًا غفيرًا من الارواح على ضفة نهر النسيان (Léthée) فتنسى الارواح حياتها السالفة وتصير ترغب في النظر الى القبة الزرقاء والعودة الى الاجساد»

Has omnes, ubi mille rotam volvere per annos,
Lethaeum ad fluvium, deus evocat agmine magno.
Ubi licet immemores, supra ut convexa revisant
Rursus et incipiant in corpore velle reverti. (Aen. VI, 748)

بقي علينا ان نعرض هذه المزاعم على محكّ الرأي السديد لنميز منها بين الغث والسمين

٣ بطلان مذهب التقمص

ان مذهب التقمص باطل من وجوه شتّى

(اولًا) لانهُ ﴿ يحطُّ من عظمة الدين وكرامته ﴾ معلوم انَّ الدين هو مجموع علاقات الخليقة بالخالق فان نحن راعينا حقوقها بحفظ اوامره تعالى نلنا الغاية القصوى والّا فنحن من الخاسرين الى الابد. فأمر الدين اذًا هو المهمّ الاهم والشغل الشاغل ونأبى الّا ان يكون معظّمًا مكرّمًا ليس فيه شبهةٌ ولا موضع سخريّة والخطاط

ولكن ما القول في تعليم يحطُّ من شرف الانسان المخلوق على صورة الله ويسخه حيواناً قذرًا كالفأرة او الخنزير او الحيّة؟ أليسوا عرضة للضحك والاحتقار هؤلاء الذين يأبون قتل البرغوث او البعوضة لئلّا تكون فيها روح ابٍ او أمّ او زوجة عزيزة ويخافون ان يطأوا عشبة لئلا يدوسوا نفساً بشريّة؟ فان كانت تلك ديانتهم فبئست الديانة لانها اجدر بان تمثل العالم كمسرح تلعب فيه البشر والبهائم

ادوارها دون قاعدة ثابتة معقولة ويا ليتهم يكتفون بالرواية المزلية المضحكة الا الا انهم كثيراً ما يقلبونها الى مأساة مفجعة بزرع البغض بين البشر

(ثانياً) لان هذا المعتقد لا يؤدي الى نتائج ذميمة في الحياة الاجتماعية اذ يقسون قلوبهم على المرضى والفقراء والبائسين فيما هم يحنّونها على الجواميث والحيّات وسائر البهائم زاعمين ان البائس يكفّر عن ذنوب اقترفها في حياة سالفة فيدعونه وشأنه ويتزلفون الى الاغنياء والعظماء متوهمين ان العظمة والغنى لا تكون الا ثمرة الفضيلة فيسوقهم اعتقادهم هذا الى التقسيم بين البشرية وجعلها طوائف متعادية كما جعلوها بالهند حيث منهم البراهمة او الاشراف والباريا (Parias) او الصعاليك فيزرعون الحسد والبغض في القلوب . ومن البديهي ان ديانة تقسم ابناء الطبيعة الواحدة الى طبقات متنافية وتثير في القلوب الاميال المنحرفة وتقسي القلوب على البائسين هي ديانة باطلة فالتقمص اذن هو باطل

ثم انّ التقمّص باطل من وجه (ثالث) لانه يناقض السنّة الثواب والعقاب وهي تقضي بان يحلّ القصاص في شخص المذنب انتقاماً للشرع واصلاحاً لما فسد من النظام العام بدخول الخطيئة في العالم . فمن العدل اذن ان يجازى الجسد خيراً او شراً على ما فعله وغير رفيق النفس وآنيتها . واننا حين نراهُ مصفرّاً باردًا موشكاً ان يصير طعاماً لدود القبر نشعر ان مدة الامتحان قد انقضت نهائيًا فما من سبيل بعد لتبديل الثواب او استحقاق العقاب لانّ الموت هدم ركني المركب الانساني وفرق بين جزئيه الاساسيين وليس يجد الانسان من بعد الموت الى التكفير عن اعماله سبيلاً

قال القديس توما اللاهوتي (في ردوده على الامم ك ٢ ف ١٤٤) : « اذا انتهت الحياة لم يَعُد للانسان استطاعة على ادراك الغاية القصوى اذ هو معدوم الجسد وفي حالة وقوف تمنعهُ عن السير الى الخير السامي فيبقى عنه الى الابد . فباطل اذن زعم القائلين ان الانسان يعوض بالتقمص عن زلات سابقة ويستحقُّ اجرًا لان نفسه تعجز عن فعلها الطبيعي بعد موت الجسد واذا اقترنت بجسد اخر لتقوم بواجب التعويض اصبحت انساناً غير الانسان السابق لاجتماعها بجسد غير جسدها الطبيعي

على ان اصحاب المذهب يجيبون : لا بأس بفناء الجسد اذ النفس هي الجزء الاشرف فينا وهي لا تزال حيّة بحيث يتسنّى لها ان تؤدي واجب التكفير بسياحتها

من جسد الى جسد . فنردُّ ونقول : هل من سبيل الى التكفير عن ذنوب لا نتذكرها ؟ اذلك تعود بالفكر ايها القارئ اللبيب الى حياتك السالفة وتذكر ايام حداثتك بين ابيك وامك وبني حياتك في المدارس وتتصوَّر في مخيلتك البلاد والاشخاص والحوادث التي شهدتها وكنت فيها وما بينها ممثلاً ، وتشعر بمسؤوليتك عن الاعمال التي صدرت منك في تطورات حياتك لانها كلها راجعة الى شخصك او اقنومك . فهو المسؤول وفيه يحل الجزاء على ما فعله من شرّ او خير . ولكن لا احد منَّا يذكر انه عاش في حياة سابقة لحياته الحاضرة فباطل اذن زعمهم أننا نسأل مكافأة او قصاصاً عنها وليس المكافأة جديرة بان تشجعنا على الخير ولا القصاص بان يردعنا عن الشر وما علينا في كلا الامرين مسؤولية ولا يمكننا ان نتوب توبة نصوحاً بتكفيرنا عن خطايا لا ذكر لنا بارتكابها ولا ان نقصد اصلاح ما فسد من اعمال لا ندري اين ومتى صدرت منَّا

وكذلك باطل زعم من قال ان التعليم ليس الَّا تذكرًا وانَّهُ الدليل على الحياة السالفة ، ولا يخفى احدًا ما يقتضيه العلم من المتعلم من جهاد وعناء لا يبلغ دونه معرفة من المعارف . وباطلة القصص التي يدَّعي بها اصحاب المذهب انه يوجد اناس يتذكرون ايام حياتهم السالفة ، لان كل هذه الحكايا هي خرافات كحكايات الف ليلة وليلة تزول بنور العقل كما تزول احلام الليل متى اشرقت شمس النهار

وعجب ان بعضهم يتذكرون خطايا ارتكبوها في حياة سالفة ﴿ فلا يمكنهم ان يصلحوا ما فسد من الماضي بالتقمص ﴾ كلَّا ثمَّ كلَّا لان الشرّير قد دخل في عبوديَّة الملكات الرديَّة السادمة قسرًا الى الشرّ . فمن كان مقامرًا سكيرًا عاهرًا ومات وتقمَّص لا يلبث ان يحس بقوة الاميال التي تسلطت عليه تجره الى الشر . وان كان وهو في حياته الماضية وفي حالة ارقى من التي هو الآن فيها لم يتمالك ان يسقط في الخطايا فأنَّى لهُ الاصطلاح وهو في حالة الخزلان والقصاص ؟ اذن فلا بد ان تتفاقم شروره وتتدهور به من دركة الى دركة فلا يعود لهُ امل بالخروج من حمأة المآثم ، وان كان التقمص وعده بالاصلاح ، فلم يبرّ بوعده . فاذًا هو باطل كل البطلان .

وان افترضنا ان البعض يمكنهم الاصطلاح مع تطورات التقمص وانهم على

مدى سياحاتهم سوف يبلغون ما بلغ اليه الصديقون من الكمال . فان نحن سألنا بذلك سلبنا الشريعة سلطتها الادبيَّة ونفوذها . فكانت النتيجة على اصحاب المذهب اسوأ من التي قبل . لانهُ ما من رادع يردع الاثيم عن اثمه الَّا خوف العذاب الدائم وما من دافع على ارتكاب الذنوب الَّا المعرفة ان القصاص عليها سوف ينتهي في زمن من الازمان . فأبشرْ اذًا يا مقامر ! ويا زاني ! ويا سكير ! وتمتَّع لانهُ ان يكن وراء الحياة عذاب فسوف ترى فيما بعد كيف تحتمله ! فلا تضحِّ بملذات الدنيا خوفاً من اهوال الاخرة وانت اعلم بقوة الشهوات الردية والاميال المنحرفة التي تدفعك الى مراودة نفسك الامارة بالسوء . ذلك ما يؤدي اليهِ الاعتقاد بامكان التوبة في حالة التقمص وانه لنتيجة فاسدة وثمرة شريرة وحيث الشر شرير فالشجر شرير فباطل اذن مذهب التقمص

وباطل هو لانه يهد اركان الحياة الادبية ويزيل الفرق الاساسي بين الخير والشر اذ يجعل في النهاية مصيرًا واحدًا للصالحين والطالحين . كيف لا والتوبة في زعم اصحاب التقمص رهن ارادة الجميع فما من شقيّ قاتل سارق عقوق الَّا يستطيع ان يرتشف كأس ذنوبه بالمرة ويقول مهما اجترحتهُ انا من شرّ ومهما فعله الصالحون من خير فلا فرق بيني وبينهم الَّا في عقاب زمني فسوف يدور بي دولاب السياحة ومن تقمص الى تقمص سوف يحملني القدر الى السعادة وهذا قول يناقض ناموس الضمير فاذًا هو باطل

واقول (رابعًا) انَّ الحجج التي يتشبَّث بها اصحاب التقمُّص هي ﴿حجج باطلة وخرافات﴾ تجاه ما يتمتَّع بهِ الانسان من الحقيقة الواضحة في شأن المصير والآخرة

نشر السيد حسن افندي حسين في مجلة المقتطف الغرَّاء مقالة في مذهب تناسخ الارواح ظهرت في عددَي مارس وابريل من هذا العام عرض فيها بعض الخواطر والاسباب التي تحمل اصحاب هذا المذهب على اعتقادهم . وروى عنهم ما ينيف على اثني عشر دليلًا يتخذونها حجةً لمعتقدهم واثبتها بما قد يكون صحيحاً من روايات الحديث وما يلائم رأي ابي العلاء المعرّي وتعليم الامام حجة الاسلام الغزالي . ولم يبتّ الامر بحيث يظل قارئ مقالتهِ في ريبة من حقيقة المذهب او بطلانه ويكاد يلقي على حسن افندي مسؤولية ما جاء بهِ من ادلَّة واقوال لولا اعلان صاحب المقالة

انه «عرضها من غير ما يتحمّل تبعتها»

على اننا مع مراعاة كرامة شخص الكاتب رأينا ان ننعم النظر في مقاله وهو لم يعالج المسألة من وجهتها الدينيّة والادبيّة والاجتماعية كما كنا نرغب ذلك اليه في امر ذي شأن كهذا بل اكتفى بنشر لائحة اخبار واقوال جعلوا اصحاب المذهب دعامةً لتعاليمهم وهي متنوعة عديدة واليك ملخصها : ١) وجود بعض اولاد النوابغ. ٢) وجود حالة التوحش قبل التمدّن. ٣) عدم اهلية اطفال افريقية من الهمج للرقي وبلوغ ما بلغه ارسطو ونيوتن من العلم. تلك براهين على ان البعض تعلموا في حياة سالفة، والبعض نالوا الرقي من بعد تكفير قدّموهُ باجتيازهم من الحياة الهمجية الى المدنية، والبعض لا يزالون مغضوب عليهم ممسوخين زنوجاً فداماً

وايمُ الحق انهم بتعاليمهم هذه «نسخوا» البراهين و «مسخوا» نتائجها و«فسخوا» نامرس الفلسفة الصحيح وجهلوا طبيعة النفس الناطقة وطريقة اتصالها بالعالم المحسوس بواسطة الجسد الذي هو آلتها ومساعدها. فحياتنا الروحية تغتذي وتنمو بفضل ما تنالهُ من الماديّات المدركة بالحواس كما ان حياتنا الماديّة تغتذي وتنمو بفضل ما تمتصُّهُ من المواد الموجودة في الطعام. وكما ان المعدة في الصغر لا تستطيع ان تهضم ما تهضمه المعدة في الكبر من اللحوم والمآكل الثقيلة كذلك يستحيل على الولد ان يدرك المعلومات السامية التي يدركها الرجل. هذه سنّة الطبيعة على انها تحتمل الشواذّ: وهم الاولاد النوابغ الذين يسبق فيهم توظيف ما في الدماغ من الاجهزة لخدمة النفس فيفوقون اقرانهم ذكاء وعلماً وربما نقمت الطبيعة عليهم لمخالفتهم سنّةَ النمو فقصّرت عمرهم كما يجري ذلك اكثر الاحايين في الاولاد النوابغ على انهُ ما من داعٍ لتدخُّل امر التقمص في المسألة

وكذلك ليس لهُ شأن في امر الهمجية والتمدن ولا في اسباب انحطاط الزنوج اذ البحث في شروط نمو العقل واكتساب العلم كافٍ لحلّ هذه المشاكل كما اشرنا وليس للتقمص ناقةٌ فيها ولا جمل

***

ومن بحثنا هذا يتضح للقارئ اللبيب ليس فقط بطلان مذهب التقمص ولكن فضل الوحي الالهي الذي قشّع عن عقول البشر غيوم الخرافات وظلمات الاضاليل

فأضاء سُبُلهم في مصيرهم الى الحياة الاخرى وهم على يقين وثقة بما يجدون فيها من ثواب وعقاب فيشدُّون احقاءهم ويجدُّون في سيرهم مستعدين لتأدية الحساب عن اعمالهم لانهُ «قد حُتِم على الانسان ان يموت ولا يموت الَّا مرةً واحدة فقط وبعد الموت الدينونة» (عبر ٩: ٢٧)

كرسيّ انطاكية والقديس بطرس الرسول

للخوري قسطوس يوسف ربّاني

النائب البطريركي للسريان الكاثوليك في اورشليم

نشرت مجلة المشرق (٩[١٩٢٣]: ٦٦٨ــ٦٦٩) مقالة للاب الياس انسطاس اليوسفي في سلسلة البطاركة الانطاكيين ورد فيها ان بطرس زعيم الرسل لم يؤسس الكرسي الانطاكي الرسولي ولم يجلس فيه. وكلامه فيما اوى مخالفٌ لجميع المؤرخين الاقدمين ولاسيما الشرقيين وهذا نصّ قوله: «نذكر هنا هامة الرسل في رأس البطاركة الانطاكيين لا لانه كان فعلًا (حقيقةً) اسقف انطاكية بل لان هذه (اي انطاكية) قد استمدَّت منهُ سلطتها ومنزلتها السامية في الشرق كلِّه». واستند في قوله الى ما كتبه اوسابيوس (ك٣: ٢١ــ٣٦) والحال ان اوسابيوس بعد ما قال (ك ٣: ٢٢) «وفي انطاكية ايضاً من بعد اوذوديوس الذي صار ثمَّ اوَّل اسقف» أردفَ: «اشتهر في هذه الازمنة اغناطيوس الاسقف الثاني» ثم قال ايضاً (ك ٣: ٣٦). «امَّا اغناطيوس المشهور عند الكثيرين حتى يومنا فقد صار الاسقف الثاني في كنيسة انطاكية بعد بطرس»

فيظهر من هاتين العبارتين ان اوسابيوس قد خالف قوله. والَّا فعبارته الثانية لا تدع مجالًا للريب في ان اغناطيوس هو خلفٌ لبطرس رئيس الرسل. وما عدا هذا فقد اورد الاب المشار اليه عبارتي القديس جلاسيوس سنة ٤٩٤ وانوشنسيوس الاوَّل سنة ٤٠٩ وقد سبق المشرق فاوردهما قبله (٥[١٩٠٢]: ٤٣٦ــ٤٣٨) وكلتاهما تصرّح بان انطاكية كانت اوَّل كرسيّ شاده هامة الرسل. وهذا التقليد التاريخيّ